

## تجديد الخطاب الديني بين الماضي والحاضر (\*)

رجاء أحمد علي

كلية الآداب- جامعة القاهرة

### الملخص

تسعى هذه الورقة البحثية إلى التأكيد على ضرورة تجديد الفكر الديني، وأن هناك فرقاً بين تجديد الفكر الديني الذي هو نتاج بشري، وبين الدين الذي هو وحى منزل من عند الله رب العالمين، وإذا كنا نجد ضرورة للتجديد في وقتنا الحاضر، فمع ذلك يمكننا أن نجد سنداً شرعياً يدعونا إلى هذه الضرورة سواء كان في الآيات القرآنية أو في حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم. وأولى أولويات هذا التجديد ضرورة الاهتمام بالاجتهاد، ذلك الاجتهاد الذي غلقت أبوابه منذ زمن بعيد، والذي أدى إلى تلك الأزمات التي تعيشها الأمة، وأدت إلى ظهور تيارات متطرفة ومنحرفة عن الدين الصحيح.

ومن هنا كانت الحاجة إلى تجديد الخطاب الديني ليس ترفاً، وإنما ضرورة ملحة تفرض نفسها علينا، لقد صار التهديد من بعض المنتسبين إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، عثوا في الأرض فساداً وقتلوا الأبرياء، فأزمتنا الحقيقية هي أزمة إستمولوجية، الأزمة في الادعاء بأننا نريد أن نعود إلى الإسلام الأول بغض النظر عما هو الإسلام الأول، من هنا كان التجديد ضرورة والاجتهاد أمراً لا مفر منه.

الكلمات المفتاحية: الجهاد - التجديد - الاجتهاد - تجديد الخطاب الديني

### Abstract

This research paper aims to emphasize the necessity of renewing religious thought. It highlights the distinction between renewing religious thought—which is a human endeavor—and religion itself, which is divine revelation from God, the Lord of all worlds. While we currently feel an urgent need for renewal, we can also find legitimate religious grounds for this necessity, whether in Quranic verses or in the sayings of our noble Prophet (peace be upon him). A top priority in this renewal is the revival of *ijtihad* (independent reasoning), which has long been abandoned. Its absence has contributed to the crises the Muslim community faces today and has led to the emergence of extremist and deviant groups that stray from the true essence of Islam. Hence, the need to renew religious discourse is not a luxury but a pressing necessity that imposes itself upon us. The threat now comes from those who falsely claim to represent Islam, spreading corruption on Earth and killing innocent people. Our real crisis is an epistemological one—claiming a return to the “original” Islam without a proper understanding of what that truly entails. This makes renewal an imperative, and *ijtihad* an unavoidable requirement.

**Keywords: Jihad \_ Revival \_ ijtihad \_ Renewing religious discourse**

(\*) تجديد الخطاب الديني بين الماضي والحاضر ، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، أبريل ٢٠٢٥،

الجهاد: قتال من ليس له ذمة من الكفار، لم يرد في القرآن. أن قتال المسلمين بعضهم لبعض جهاد وإنما هو قتال كما جاء في سورة الحجرات آية ٩.

التجديد: طلب الشيء جديداً على مثل حالته الأولى، أو كما أنزل علي رسوله محمد غضاً طرياً، التجديد جودة في الفهم والاستنباط وابتكار في تنزيل النص على الواقع طوعاً للقواعد المنهجية التي اشتمل عليها علم أصول الفقه ( كما ذكر في كتاب التجديد والحفاظ علي الهوية الإسلامية لجعفر عبدالسلام، دار الهلال ٢٠٠٩).

الاجتهاد: هو بذل المجتهد وسعة في طلب العلم بأحكام الشريعة، والاجتهاد التام أن يبذل المجتهد الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد طلب (ذكره الغزالي في كتابه المستصفي من علم الأصول).

تجديد الخطاب الديني مصطلح يشير إلى عملية تحديث وتطوير الفهم والتفسير الديني ليواكب التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية في العصر ويهدف إلى إعادة تفسير النصوص الدينية بطريقة تتناسب مع التحديات المعاصرة دون المساس بجوهر الدين (كما ذكر في كتاب تجديد الخطاب الديني رؤى وآفاق لمحمد عبدالله العوا).

### تمهيد:

على الرغم من أن هناك مقولة نردها كثيراً وهي أنه لا جديد تحت الشمس، فماذا عسانا بالتجديد، إلا أن هذه المقولة أثبتت خطأها، فلا أساس لها من الصحة، فكل شيء تحت الشمس جديد، حتى الشمس ذاتها، تشرق كل يوم ويأتي منها يوم جديد وحياة جديدة، فالصيرورة طبيعة الحياة؛ لذلك نقول مع فيلسوف اليونان هيرقليطس: "إنك لا تستطيع أن تنزل النهر مرتين فمياها جديدة تغمرك كل مرة"؛ فالجديد والتجديد ضرورة من ضرورات الحياة؛ لأنه أمل وإشراق يوقظ الحياة، وهو سنة الله في خلقه وإذا لم يقم الانسان بجهد وتجديد المواجهة اليوم الجديد سيموت على كافة الأصعدة.

وعندما تتعالى الأصوات مطالبة بالتجديد فهذا مؤشر بل ودليل قوي على أننا نعيش أزمة، والخطأ أن نظن أن العالم هو الذي يعيش الأزمة ولست أنا المأزوم، ومن ثم كان من الضروري البحث عن أفضل السبل لتجاوز أزممتنا فلو نظرنا إلى عالمنا العربي (لا أقول بنظرة فاحصة متأنية) بنظرة عابرة لهالنا أمر هذه الأمة، فعلى الرغم من أنها تمتلك

أدوات تقدمها إلا أننا نجد حالها لا يسر.

الحقيقة أن الأجيال تعاني من شيخوخة روحية، وذلك لأنها تتغذى على مصادر ثقافية عقيمة فقدت قدرتها على التجديد، فإذا كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم أيضا يجب أن تبنى حصون السلام وهذا لا يتأتى إلا بالتجديد والتقارب بين الأديان والأفكار الثقافات.

ومع كل قناعاتي بهذا الذي قلته، فإن هناك شعورًا يملؤني يقول: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فمما لا شك فيه أن الفكر السائد في أي مجتمع يكون له الأثر البالغ في صعود المجتمع أو هبوطه، من هنا كان إصلاح الفكر وتطويره هو البداية الحقيقية للتغيير، والذي من خلاله نستطيع أن نشخص الداء الذي أدى إلى شل حركة التقدم، ولما كان للدين دور أساسي في حياة المجتمعات، وكانت ظروف الحياة تتبدل وتتطور تبعًا لسنن الكون؛ فبقاء الدين واستقراره يكمن في تجاوبه مع ظروف هذا التطور، فهناك صلة وثيقة بين الوحي والواقع تظهر في كثير من الأمور كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، تلك الصلة التي من شأنها إقامة علاقة جدلية بين الوحي والواقع، حتى إننا نجد في الوحي كلام جاء على لسان البشر سواء على لسان النبي (ص) (دثروني زملوني) أم على لسان أحد الصحابة كعمر بن الخطاب (تبارك الله احسن الخالقين) أو حوار بين اليهود والكفار في أمر أهل الكهف و عدددهم، وغير ذلك مما يؤكد تلك العلاقة الجدلية بين السماء والأرض، فليست الشريعة بحثًا في المطلق فحسب، بل في نزول الوحي الي الأرض وتفاعله معها.

وإذا كان الدين الإسلامي دعوة عالمية صالحة لكل زمان ومكان، فذلك لأنه أكد على ضرورة التجديد، وبالتالي فنحن في أمس الحاجة إلى فكر ديني جديد يواكب تلك التحولات، ويقف أمام المنظومات الفكرية الجامدة التي تنتكر لشروط العصر تلك المنظومات التي لا يتولد عنها إلا الارهاب المتطرف، نحن في أمس الحاجة إلى تجديد في بنية العقل الإسلامي، والنظر في بنية الموروثات الفقهية وتأسيس فكر ديني يتجاوز الفكر الذي يهيمن عليه المتشددون والمتطرفين.

## التجديد والشرع:

إن التجديد ليس بدعة نبتدعها اليوم، وإذا أردنا سنداً شرعياً سواء كان من الكتاب الكريم أو السنة النبوية لوجدنا الكثير. لقد وضع الله عز وجل قانوناً إلهياً يؤكد ضرورة التجديد، قانوناً يدفع الأمة إلى ضرورة تطوير نفسها و تجديد واقعها قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)<sup>(١)</sup> وقول رسولنا الكريم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها)، وعندما يقول عليه الصلاة والسلام (لا تكونن أحدكم إمعة)، وعندما أرسل معاذاً إلى اليمن فسأله: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء، قال: اقض بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب رسول الله صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله<sup>(٢)</sup>، وعندما تأتي أول آية في كتابنا الكريم تأمر بالقراءة والقراءة لها دلالات لا سيما أن الخطاب موجه إلى نبي أمي، ومع ذلك نجد أن أمة اقرأ عصت أول أمر أنزل إليها لذلك قال برنارد لويس وموشي ديان لا يجب أن تخافوا من العرب لأنهم لا يقرأون وإذا قرأوا لا يفهمون، وإذا فهموا سريعا ما ينسون، هكذا حال أمتنا اليوم على الرغم من أنها تمتلك مقومات تقدمها لكنها في سبات عميق. وكما يقول الشيخ أحمد الطيب: إن التأمل في طبيعة الإسلام يبرهن على أن مسلمة التجديد إن لم تكن هي والاسلام وجهين لعملة واحدة فإنها على أقل تقدير إحدى مقوماتها الذاتية إذا تحققت تحقق الإسلام وإن تجمدت تجمد وانسحب من مسرح الحياة واحتزل في طقوس تؤدَّى في المساجد<sup>(٣)</sup>.

لقد جاء الخطاب القرآني لبناء عالم يتجاوز به البداوة إلى الحضارة من نظام قائم على العشيرة ورابطة الدم إلى سلطة أعظم، وعلى سياق قائم على التفكير والتحليل ومواجهة الحفظ والتقليد؛ ومن ثم بنى المسلمون حضارتهم، لم يبنوها بالإفراط في أداء العبادات، فالإفراط دون وعي بماقصدها وعمق المعاني الكامنة بها لا يؤدي إلى المطلوب منها، فإذا حافظ المسلم على عباداته وهو غافل عن جوهرها فكأنه يكتفي من دينه بالشكل والرسم دون الجوهر الذي هو لب الأمر وذروة سنامه، وعلى ذلك نقول إنه غاب إسلام الحضارة بعطائه الرائع، فالسلف لم ينح علوم الدنيا جانباً من أجل علوم الدين، وإنما أقبل عليها معاً، أكد رسولنا الكريم على الاهتمام بالدنيا فإذا جاءت الساعة

وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها، واعمل لدينا كأنك تعيش أبداً، وأول كتاب ترجم في عهد يزيد بن معاوية كان في الكيمياء. وإنني لأتعجب من أمر المسلم الذي يخرج من داره ويقول أنا خارج لموت في سبيل الله، لماذا لا يقول لأحيا في سبيل الله؟ لماذا الموت؟ لماذا هذا الاختيار والله وهبنا الحياة؟ أقول لقد استبدلنا إسلام الحضارة بفكر جماعات نسبت نفسها إلى الإسلام زوراً وهبتنا، فتحقق اغتيال الإسلام (للأسف) على يد بعض أبنائه<sup>(١)</sup>، فسيطر على هؤلاء تكفير المجتمع لأنه لا يحكم بما أنزل الله، وأنه مجتمع الجاهلية، في حين نجد السلف يقولون: إذا صدر قول من قائل يحتل الكفر من مائة وجه ويحتل الإيثار من وجه واحد حمل على الإيثار. وهذا القول يستند إلى حديث رسولنا الكريم الذي رواه الترمذي: "ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله، فلأن يخطئ الإمام في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة"، إننا نكفر بعضنا البعض لمجرد الاختلاف في المزاج.

من هنا كان علينا أن نقف ونواجه هذا التمدد السرطاني الذي يعتبر نفسه الفرقة الناجية والذي يعطي الحق لنفسه في السيطرة والهيمنة وقذف الآخر المخالف له في الرؤية بأفظة الصفات، لقد وصف فيلسوف العرب الكندي المتوفي عام ١٨٥ هـ هؤلاء (كانوا موجودين في عصره وهم موجودون في كل العصور) بأنهم عدماء الدين وأنهم تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق لأنهم يتاجرون بالدين، وإن من تاجر بشيء باعه ومن باع شيئاً لم يصبح ملكاً له؛ فهم عدماء الدين وليسوا رجال الدين<sup>(٢)</sup>. إننا نخاف على الإسلام من بعض المنتسبين له أكثر من خوفنا عليه من الذين لا ينتمون إليه. الحقيقة أنه ليس من اختصاص الناس أن يصنف بعضهم بعضاً، فلم يوكل الله أحداً بمهمة التصنيف، فمن الضروري أن نقضي على محاكم تفتيش العقول والنفوس فالفكر الأحادي هو المسؤول عن الانحراف والتطرف، الأولي أن يشتغل وينشغل كل منا بنفسه وإصلاح حاله ومراقبه أفعاله وأعماله، ولا يجب عليه رصد وتتبع الناس لقد صدق الشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي حين قال<sup>(٣)</sup>:

قالوا لنا: لا تعبدوا الله كما ترونه

بل اعبدوه مثلما نراه نحن

إننا حجابُه ونوابه في أرضه

نحن رعاتكم هنا، وأنتم الرعية

وإذا كان هؤلاء يستندون إلى الآية الكريمة: "لتكونوا شهداء على الناس"<sup>(١)</sup> ليؤكّدوا وكالتهم فإن الشهادة هنا لا تعني ما فهموه وإنما تعني التواصل والتعاون، ولا علاقة لها بالتعالى والتصنيف، إن الحكم والتصنيف من اختصاص الله تعالى. لقد ظهرت لدينا أنواع متعددة من الإرهاب كالإرهاب الفكرى، والإرهاب السياسى، وعلى رأس كل هذا الإرهاب الدينى الذى توخّش وامتد أخطبوطه المريع حول الكرة الأرضية كلها ولم يعد أحد في العالم كله بمنجى عن أحداثه الوحشية التى تتناقض كل التناقض والدين الإسلامى السمح، الذى أصبح البشر الأبرياء يقاتلون باسمه<sup>(٢)</sup>، وأصبح لدينا ما يذكّرنا بصكوك الغفران والعصور الوسطى؛ ومن ثم أقول إننا نعيش تاريخنا الهجرى وليس التاريخ الميلادى، نعيش القرن الخامس عشر وليس القرن الحادى والعشرين، إننا نعيش العصور الوسطى المظلمة، فإذا كان قساوسة العصور الوسطى استغلوا بساطة الناس وجهلهم بالدين فأخذوا يثبون في الإنجيل ما ليس فيه ليحتفظوا بسطوتهم ومكائهم، أيضا ظهر الآن من هم يستغلون بساطة الناس وجهلهم بالدين ويقولون ما ليس فيه، وأصبحوا هم كهنة الدين بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ فهم ليسوا علماء دين بل هم رجال الدين وكهنته.

### الخطاب الدينى وقضايا العصر:

لقد تميز الخطاب الدينى التقليدى بمناقشة مجموعة من القضايا التى كانت تناقش في العصور الوسطى، ونحن لا زلنا نغوص فيها ونغض الطرف عن قضايا من الضرورى أن يتضمنها خطابنا الدينى، لقد غرق الخطاب التقليدى في مناقشة قضايا اللجنة والنار وعذاب القبر وهول يوم القيامة، وغض الطرف عن قضايا مهمة أكد عليها القرآن الكريم ولها أهمية في حياتنا المعاصرة، وتؤكد على أن ديننا صالح لكل زمان ومكان. ومن هذه القضايا قضايا البيئة التى تمثل تحديا كبيرا في حياتنا. إن الآيات القرآنية تؤكد على الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها وعلى الموارد الطبيعية واستخدامها بشكل معتدل وعدم الإسراف فيها حفاظا على حقوق الأجيال القادمة؛ قال تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض

بعد إصلاحها"<sup>(١٤)</sup> وقوله تعالى: " وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه"<sup>(١٥)</sup>. وهناك العديد من الآيات التي تدل وتؤكد على أهمية البيئة وعلى الرغم من أن عندنا سنداً شرعياً للاهتمام بالبيئة فإن خطابنا الديني يخلو من هذا الاهتمام.

ومن القضايا التي أهملها خطابنا الديني حقوق المرأة التي أكد عليها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أيضا حقوق الأقليات، وحق الأفراد في الحرية سواء حرية التعبير عن الرأي أو حرية المعتقد، قال تعالى: " لكم دينكم ولي دين"<sup>(١٦)</sup> أيضا قوله تعالى: " لا إكراه في الدين" أيضا من تلك القضايا، قضية الحوار بين الناس، قوله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"<sup>(١٧)</sup> وقوله تعالى: " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"<sup>(١٨)</sup>. لقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون (على الرغم من كفره) أن يقولوا له قولاً لنا ولم يأمرهم سبحانه بالقتال؛ فالدعوة بالحسنى من أوليات المسلم التي يجب أن يتناولها خطابنا الديني.

ومن القضايا المهمة التي يجب أن يتناولها خطابنا الديني مفهوم الوطن ومعالجة هذا المفهوم في ظل ما نشاهده الآن وظهور نفر من الشواذ في الفكر يقولون إن الوطن ما هو إلا حفنة من التراب العفن ولم يتأسوا برسولنا الكريم في إثباته لعظمة الوطن وأهميته، وذلك حين بكى عليه الصلاة والسلام عندما خرج من مكة وقال والله إنك لأحب بلاد الله إلى قلبى ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت، وأيضاً قول عمر بن الخطاب عمّر الله البلدان بحب الأوطان، أيضاً ما قاله الجاحظ في رسالة الحنين إلى الأوطان: إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره، فالإنسان أحق بالحنين إلى وطنه، وقديماً قدم سقراط أروع وأعظم مثال في حب الوطن؛ فعلى الرغم من المعاناة التي عاناها في حياته بهذه البلد (أثينا) والمحاكاة القاسية الظالمة التي لاقاها، على الرغم من ذلك رفض الفرار والهروب من بلده على الرغم من أن الفرصة كانت مهيأة له للهروب، لكن إحساسه المرهف بالوطن وحبّه وانتائه له واحترامه لقانونه منعه من ذلك.

وإذا استقرأنا تاريخنا الحديث نجد الشيخ الإمام محمد عبده يُقسم بالوطن، فبعد أن تخرج من الأزهر كتب مقالاً عن الوطن والوطنية وفيها يقول وهو الشيخ الأزهرى، لا والوطن ومحبه وأنه قسم لو علمناه عظيم؛ فالوطن في اللغة محل الإنسان مطلقاً فهو السكن والصلة بينه وبين الساكن صلة منوطة بأهداف الشرف الذاتى فهو يُغار عليه

ويزود عنه كما يزود عن والده الذي ينتمى إليه وإن كان سيء الخلق شديداً عليه.

إن الوطن هو أول ما ينتمي إليه الإنسان، فهو يمثل الذاكرة الجمعية من الطفولة إلى الشيخوخة، فهو يمثل علاقة الفرد بالمكان وهو القاسم المشترك بين الفرد والجماعة، فالوطن ليس مفهوم بقدر ما هو تجربة حية، هذه بعض من الموضوعات والقضايا المعاصرة التي يجب أن يتناولها خطابنا الديني ليؤكد أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

### سماحة الإسلام وقبول الآخر:

لقد أرسل رسولنا الكريم رحمة للعالمين وعلى ذلك نشر ثقافة الرحمة وقبول الآخر وتعلم منه صلى الله عليه وسلم كل علمائنا الأجلاء، يحضرنى موقف للإمام مالك عندما جاءه أسد بن الفرات ليتعلم عليه فكان أسد كثير السؤال فسأل مالك؟ فأجابته، فزاده فأجابته، فقال له مالك حسبك يا مغربي إن أحببت الرأي فعليك بالعراق فارتحل إلى صاحب أبي حنيفة<sup>(١١)</sup>، هكذا لم ينفر مالك من أسد ولم يقل له خذ مني ولا تزد، وإنما فتح له أبواب المعرفة وسمح له بالتجوال ليأخذ ما يريد، هكذا كان مالك الإمام بمعنى الكلمة، الإمام القدوة الذي يستوعب الجميع ولا يرى أن رأيه هو الحق دون غيره، الإمام المتسامح الذي لا يجرح ولا يستهزأ بالآخر، في حين على الطرف الآخر نجد نقيض للإمام مالك نجد أبو سعيد عبد السلام التنوخي الملقب بسحنون والذي كان مالكي المذهب وكان قاضي القضاة في القيروان وكان يدعم هذا المذهب إلى الحد الذي كان لا يُعين أحداً في القضاء إلا إذا امتحنه وتبين أن مذهبه هو مذهب مالك وأنه تارك لمذهب أبي حنيفة هكذا أخفت سحنون كل صوت ذى نزعة عقلية، وسوف نذكر حكاية وردت عنه تبين مدى قسوته، رُفع إليه أن يهودياً سب النبي (ص) فقال: لم أعط السيف، فأحضره وعرض عليه الإسلام فأبى، وأمر بضربه، وقال للضارب: اضرب حدو قلبه، فضربه حتى مات<sup>(١٢)</sup>، فلم يضع في اعتباره وجادلهم بالتى هى أحسن، ولا إكراه في الدين.

من خلال استقراء التاريخ تبين أن العلماء الحقيقيين هم الذين اتسموا بالسماحة ونادوا بالتجديد. ومن أمثلة هؤلاء الإمام القرافي فكان يقول (ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك،

واسئله عن عرف بلده ، وأجره عليه ، وأفته به ، فهذا هو الحق الواضح ، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضيين<sup>(١٧)</sup> .

هذا ما أكد عليه من قبل ابن القيم حين قال: (ومن أفتى الناس بمجرد المنقول من الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمتهم وأمكتهم وأحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنابة على الدين)<sup>(١٨)</sup> إذا لا بد أن نتجاوز إشكالية المفارقة بين ما يؤكد عليه جوهر الدين وبين ما هو سائد من مغالطات فكرية ، فإذا كان التماهي مع الوحي من وجهة نظر هؤلاء المدعين هو المدخل لنفى الآخر ، فالحقيقة إنه يتنافى مع جوهر الوحي ، فاستعادة الاختلاف جزء من الوحي (فلو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفون)<sup>(١٩)</sup> اختلاف الألوان في الطبيعة اعتراف بالتعددية في المجتمع ، فلا سلطان لأحد على عقيدة أحد، حتى رسولنا الكريم كان مبلغاً ومُذكرًا لا مهيمناً ولا مسيطراً.

وعلى ذلك فنحن بحاجة إلى إعادة صياغة الطريقة التي تشكلت بها عقولنا بطريقة الشرح على المتن، وتحويل الدين إلى معلبات قدمها السابقون ولا بد أن نأخذ منها أن التطوير والتجديد لا يصلح أمره مع التعليب، فالتجديد بمثابة مضاد حيوى فعال ضد التطرف الأحادي النظرة، وعلى الرغم من المصادر المتعددة للفكر الديني، إلا أن هذا الفكر اعتراه القصور بفعل كثير من الظروف التي أدت بالبعض إلى المنادة بغلق باب الاجتهاد ظناً منهم إننا بذلك نصل إلى بر الأمان، هذا الأمان الذي كان يأمله هؤلاء أدى بنا إلى نوع من الوثن، أليس التقليد وثناً، لقد بقي التقليد مهيمناً وقابلاً على صدورنا وعقولنا تلك فتنا الكبرى خلطنا بين الذات والموضوع ونسينا عقولنا التي هي وكيل الله عند الإنسان وأعدل الأشياء قسمة بين الناس، إن النظرة الإسلامية الصحيحة فرقت بين الذات والموضوع؛ لأن الخلط بينهما يؤدي إلى نوع من الالتباس الذي بدوره يؤدي إلى إيقاف عمليات التفكير والنقد والتطوير، هذا الخلط الذي ظهر في فكرنا الإسلامى منذ أمد بعيد أدى إلى تأخر عقلاء الأمة عن القيام بواجبهم نحو هذا الإشكال المنهجي، وليس أدل على ذلك الخلط مما حدث في الفتنة الكبرى والتي رفض الكثير من عقلاء الأمة الخوض فيها وعدم قراءة الأحداث وفرز القيم عن الذات والنص عن الاجتهاد

والاستفادة من الخطأ والصواب في الفهم والتطبيق بما يعيد الأمور إلى نصابها ولو أنهم استقرءوا التاريخ والسيرة النبوية الشريفة لتبين لهم الأمر ولاستطاعوا أن يفصلوا بين القيمة والذات.

لقد قدم رسولنا الكريم المثل الأعلى على هذا الذي قلناه ، وعلم أصحابه المنهج القويم في التفرقة بين الذات والموضوع بين ما هو منزل وما هو بشري، فعند التخطيط لموقعة بدر وأشار النبي (ص) بموقع اختاره ليعسكر فيه المسلمين فجاء الحباب بن المنذر وأشار على النبي بموقع آخر أفضل من الذي اختاره الرسول وقال له يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلك الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة<sup>(١٧)</sup> فقال رسولنا الكريم إنه الرأي فالحباب لم يبلغ عقله وخبرته ولم يمنعه أن رسول الله (ص) هو الذي اختار المكان ، إنه موقف عظيم من نبي عظيم وقائد ملهم دشن فيه للقيادة الحكيمة ، وسؤال الحباب لرسولنا الكريم هو سؤال مهم لكى يفرق بين ما هو إلهي ( إذا كان أمرا من الله ) وما هو رأى بشرى ارتأه النبي (ص) كإنسان.

### الأول لم يترك للأخر شيئا:

إن محتنتنا تتمثل في اغتيال العقل؛ ومن ثم لا يجب أن نعيب على التراث ، لقد حان الوقت أن نحاسب أنفسنا ، كيف نحاسب الأسلاف وهم لم يدركوا عصرنا ولا كان بمقدورهم أن يفهموه ويتركوا لنا في تراثهم الحلول التي نحتاجها لمواجهة مشاكلنا ، هل يجب الوقوف على أقوال أناس هم أنفسهم لم يقفوا على أقوال من سبقهم؟ ألم يكن الوقت لنقول إننا بلغنا سن الرشد العقلي؟ الأسلاف أدوا رسالة الإسلام على أكمل وجه؛ لأنهم تفاعلوا مع شروطهم التاريخية ونبذوا التعصب والإنغلاق وأطلقوا للعقل سراحه فاستنبطوا وأدلو بدلوهم بما يتناسب وزمانهم ، إننا جميعا نعرف فضل الأولين السابقين بدءاً من صحابة رسول الله ، الأمة كلها تعرف ما قدموه للأجيال من بعدهم ، لكننا نقف عند هذا المنتهى لا نتجاوزه ولا نعدوه.

إن المبالغة في تقديس آراء علماء القرون الأولى من تاريخ الإسلام ومتابعة من قالوه استناداً إلى حديث النبي (ص): (خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه)، حقاً إنهم أدوا دورهم وبالتالي كان على الخلف أن يواجه مشكلاته ويحيب عليها، فليس صحيحاً أن

الأول لم يترك للآخر شيئاً ، فالأولين مجتهدين في إطار واقع لم تعد كثيراً من عناصره قائمة بيننا ، كما كان إجتهدهم محكوماً معلوم لم يكن أكثرها قد بلغ من النمو والتطور ما بلغه في عصرنا<sup>(٢٠)</sup>.

فهذا التراث لا يجدد بالترار والتقليد ، إن مقولة أن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، هي من أهم أسباب الانحطاط واضمحلال الفكر ، نحن مطالبون بدورنا أن نحيا عصرنا ونواكب مستجداته حتى نضطلع برسالتنا تجاه ديننا مطالبون بتقوية صورة الدين من أدران الانغلاق والتطرف الذى يعمل البعض على إصاقها به ، لا يمكن أن نستعيد مكانتنا ونحن واقفين على الماضي وإبداعاته التى كانت تناسبه هو ، نحن نتعلم منهم ولا نحذو حذوهم ، إن التراث الإسلامى تراث من صنع البشر ولا يمكن أن ينطبق عليه قاعدة عدم المساس بالنصوص القطعية وإنما ينطبق عليه قاعدة من أصاب فله أجران ومن أخطأ له أجر ، فليس الكمال إلا لله .

هل عقلت العقول فلا نجد ابى حنيفة جديد ، أفلا نجتهد لزماننا ، أين فقه الواقع؟ هل لدينا قدرة على استيعاب العصر فى خطاب الفقهاء؟ أظن إننا حتى الآن لم ندرك ذلك ، نحن فى أمس الحاجة إلى تجديد فكر دينى قائم على الاجتهاد فى فهم النصوص الدينية وتفسيرها بما يتناسب مع المتغيرات الإجتماعية والثقافية دون أن يتناقض مع الثوابت الدينية بهدف تقديم خطاب دينى معتدل يعالج القضايا المعاصرة ويعزز القيم الإنسانية<sup>(٢١)</sup>.

إنهم رجال ونحن رجال وكما قال على رضى الله عنه ( القرآن مسطور بين دفتى لا ينطق وإنما ينطق به الرجال ) هذا القول المهم والخطير يوضح أن عقل الرجال وفهمهم هو الذى يحدد المعنى ، فالشريعة لا يمكن أن تقوم الا على أساس الفهم البشرى للوحى الإلهى ، والوحى لا يمكن أن يصبح تشريعاً تطبيقياً الا عن طريق الفهم البشرى ، فمفهوم شمولية النص لكل الوقائع يلغى من فهم الإسلام تلك المنطقة الدنيوية التى تركها للعقل والخبرة ، لقد أتى الله فى كتابه الكريم بأحكام كلية وترك الجزئيات للإنسان ، ليفكر فيها بشكل يتوافق مع أمور حياته فأنتم أدرى بشئون دنياكم ومع فعله الفاروق عمر بن الخطاب يؤكد ذلك ، فقد أخرج سهم المؤلفه قلوبهم من تقسيم غنائم الأرض ، وأوقف حد السرقة فى عام الرمادة مع ثبوت كل ذلك فى القرآن والسنة ، وما كان توقعه

إلا بيقين منه أن من حقه التوقف أمام النصوص عند عدم إمكان تأويلها بما يناسب عصره بحسب المصالح المرجوة<sup>(٣٣)</sup>.

فليس كل ما هو موروث صحيح ، ومن ثم كان من الضروري إنتفاء التسليم المطلق بموروثات الآباء في كافة المجالات تسليماً خالياً من النقد ، لقد عاب القرآن على المقلدين الذين قلدوا آباءهم دون إعمال للعقل ، وهناك أدلة كثيرة تؤكد ذلك؛ ففي الخطاب الديني القديم نجد فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان ، فعلى سبيل المثال وُجدت فتاوى تُحرم آلة الطباعة عندما ظهرت منذ أكثر من أربعمئة عام؛ مما أدى إلى تأخر الأمة قروناً إلى الوراء حتى جاءت الحملة الفرنسية وفرضتها علينا ، أيضاً كان هناك فتاوى تُحرم إضاءة مصابيح الشوارع أيام قانصوه الغوري مستندة إلى أن الله سبحانه كان قادراً على أن يجعل الليل مضيئاً، ولكنه لا يريد ذلك<sup>(٣٤)</sup> ، هذه الفتاوى وغيرها أشاعت الظلام في القلوب والنفوس.

لقد احترم الله عقلية الأمة وللأسف الأمة لا تحترم عقلها، إن المساحة التي أعطاها الله لنا لنفكر وتندبر أمور حياتنا تؤكد على ذلك حتى إن قصص الأنبياء التي ذكرت في القرآن الكريم هي أيضاً تؤكد على أهمية الدور البشري في أمور الدين ، فالله قادر على أن يقضى على أعداء الدين والأنبياء لكنه لم يفعل سبحانه ليؤكد على أهمية الدور البشري ، حتى أن فكرة النبي الخاتم ، يترتب عليها رفع الوصايا عن العقل البشري بعد بلوغه مرحلة الرشد ، وبالتالي لا توجد فكرة الإصطفاء لأفراد أو لجماعة تزعم لنفسها امتلاك الحقيقة ، وحديث رسولنا الكريم أنه سيأتي على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة دينها هو تأكيد على أن هذه الأمة على موعد دائم مع التجديد لأمر الدين<sup>(٣٥)</sup>.

### بناء المفاهيم:

على الرغم من إننا نعيش عصر انفجار المعلومات التي تأتي لنا من مصادر شتى قنوات مفتوحة وإنترنت وسماوات مفتوحة بثقافتها وإيديولوجياتها وصولاً إلى الميتافيزس ، على الرغم من كل ذلك إلا أن خطابنا الديني يُعاني من هزال سواء كان في المنهج أو الموضوع ، فلا يوجد منهج وهناك قفز على النتائج، فالنتائج لا تلزم عن المقدمات وتناول الموضوعات بشكل سطحي واجترار الماضي ، من هنا كانت الضرورة للتجديد.

والحقيقة أن أساس التجديد وبؤرته تكمن في بناء المفاهيم وهذا يتطلب منا مراجعة المفاهيم السائدة وتنقيحها وتصحيح المفاهيم التي سادت عبر الزمن على الرغم من أن كل عصر له معايير ومفاهيمه التي تشكل وعي الجمهور وقبوله للخطاب المقدم له إلا أن هناك مفاهيم ظلت سائدة رغماً عن الزمان والمكان، تعلمنا من استقراء التاريخ أن كل مشكلة تحتاج إلى مفهوم وبدون تأسيس المفاهيم لا تُحل المشكلات. فعلى سبيل المثال؛ الفقيه المجتهد من الضروري أن يبدع مفاهيمه ويراعى روح العصر الذي يعيشه ومتطلباته ولا يركن إلى الماضي؛ لأن المفهوم وليد البيئة الثقافية والظرف التاريخي والجغرافي، من هنا نقول أن المفاهيم جزء لا يتجزأ من تلك البيئة.

إن الخلط بين المفاهيم يُعد سبباً كارثياً لتلك الأزمة، التي نعيشها. وسوف نعرض لبعض من هذه المفاهيم المخلوطة منها:

١- إن البعض أنزل الفقه منزلة الاعتقاد وخلط بين الشريعة والعقيدة؛ فعلى الرغم من أن العقيدة هي جوهر الدين الإسلامي وأصله الذي يقوم عليه وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وغير ذلك من العقائد الإيمانية، أما الشريعة فهي تلك الأحكام العملية، قال تعالى: ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )<sup>(١)</sup> هذا ما أكد عليه الطبري حين ذهب إلى أن لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمه سبيلاً واضحاً يعمل به، وإذا كانت العقيدة واضحة ومحددة، فإن الشريعة من المفاهيم الزئبقية التي يعسر ضبطها؛ لذلك وظفت توظيفاً سياسياً الأمر الذي جعل أصحاب المصلحة يخلطوا بينها وبين العقيدة ويجعلوا أنفسهم الفرقة الناجية.

إن النسبة الغالبة من الشريعة الإسلامية تعود لرؤى الفقهاء والمشايع وتفسيرهم للنصوص متأثرين بظروف الزمان والمكان الذي عاشوا فيه؛ مما جعل هذه التفسيرات والمذاهب تختلف وتتعدد إلى آلاف من الرؤى والتفسيرات<sup>(٢)</sup> وهذا الخلط بين الشريعة والعقيدة ليس بجديد؛ إنما نجده على مر السنين، فعلى سبيل المثال نجد الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى ( المتوفى ٣٦٠ هـ ) في كتابه ( الشريعة ) والذي كنا ننتظر منه في هذا الكتاب أن يوضح الشريعة، لكننا وجدناه وقد تناول الشريعة من خلال أصول الدين، هكذا نجد لديه خلطاً بين المفهومين، أضف إلى ذلك أنه على الرغم من أنه عاش في فترة إضطرابات وفتن وبدلاً من أن يقدم خطاباً عقلياً يبين فيه أن الشريعة أشمل من

تلك الأحكام المختلف عليها نجده يعود بنفس الطرح والذي يعرض نفسه وأفكاره على أنه الفرقة الناجية ، ويعرض بنعرة التعالي أنه رسم في كتابه من أوله إلى آخره ما يجب أن يتعلمه المسلم ، ولا بد أن يأخذ من معينه كل مسلم حتى يصحح أخطاءه، وفي نفس الوقت يؤكد ويصرح على قفل باب الاجتهاد، وجعل الإبتداع ضلاله ولا بد من الاتباع لأن فيه النجاة<sup>(٣٧)</sup> ونسى حديث رسولنا الكريم: (لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا أي اختلفوا، فإذا تساوا هلكوا) وقول عمر بن عبد العزيز : (الحمد لله على اختلاف الصحابة فلكل منهم مشربه)، ونسى قول مالك (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبي).

هؤلاء جعلوا انفسهم أوصياء علي الدين و المسلمين، على الرغم من أنه لا يوجد وسيط بين الله وعباده ، ولا يوجد متحدث رسمي للإسلام غير رسول الله ، وكما قال الشيخ محمد عبده : (إن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام، ولا يسوغ لأحد أن يدعى السيطرة على إيمان أحد وعبادته).

٢- أيضاً من المفاهيم الملتبسة والذي حدث حولها جدلاً كبيراً مفهوم الجهاد والذي كان ذريعة عند البعض لإرتكاب الجرائم وإباحة القتل وإشاعة الذعر ، بل وذرع الموت في الطرقات ( العربات المفخخة وذرع القنابل ) بحجة الجهاد مستندين إلى آيات قرآنيه والوقوف على المعنى الحرفي لها غير عابئين بأسباب النزول والظرف التاريخي ونسوا حديث رسولنا الكريم ( إمامة الأذى عن الطريق ) فقاموا بزرع الموت في الطريق.

والحقيقة أنه لم يرد في القرآن أن قتال المسلمين بعضهم لبعض جهاد، وإنما ذكر على أنه ( قتال ) وفرق كبير بين أن يكون جهاداً أو يكون قتالاً ، فجاء في قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي)<sup>(٣٨)</sup>، أيضاً قال رسولنا الكريم إنه إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ولما سئل عن سبب دخول المقتول النار، قال : لأنه كان أحرص على قتل صاحبه ، معنى هذا أن قتل المسلم للمسلم لا يُعد جهاداً بأي حال من الأحوال ، وجاء في المعجم الوسيط أن الجهاد هو قتال من ليس له ذمة من الكفار ، حتى هذا القتال لا يكون إلا بعد الحوار والقول اللين وهذا ما حدث مع موسى عليه السلام وفرعون بأمر من الله.

فالجهد مفهوم إنساني لا يختلف فيه الإسلام عن ميثاق الأمم، وللجهد معان كثيرة لا تتضمن معنى القتال فالتوجيه بالرأى جهاد، وكبح جماح النفس جهاد، والإعانة على الخير جهاد، والجهد الذي هو القتال لا يجوز إلا بأذن ولاة الأمر وليس أفراد الناس وهذا معنى يختلف عن الحروب الإجرامية العبيثية وعن أفعال العصابات الذين يسميهم الفقه الإسلامي بأهل الحراية المفسدين في الأرض، كما أنه يختلف عن الخروج عن المجتمع بدعوى الجور والمظالمات وإخلال ولاة الأمور بواجباتهم الشرعية فهذا لا يكون جهاد إنما هو بمفهوم الشرع معناه البغى، أيضاً الخروج على الأمة كلها بدعوى الجهاد فهذا شأن الخوارج الذين يسمون دار المسلمين بدار كفر وحرب<sup>(٢٤)</sup> فبفعل الالتباس في المفهوم (الجهاد) شاع التكفير بدلا من التفكير، وبعد أن كانت القيم هي وسيلة القرب في الإسلام وبدلا من أن يضعوا في إعتبارهم حديث الرسول (ص) كل المسلم على المسلم حرام استباحوا دمه وعرضه وماله والنظر اليه على أنه كافر على الرغم من أن التكفير ليس من الأمور المباحة في الإسلام ما دام المرء يعلن الشهادتين.

٣- أيضا هناك التباس في مفهوم العلم، فما العلم الذي يؤجر عليه المسلم؟ هناك من نظر إلى مفهوم العلم على أنه يقتصر على العلوم الشرعية دون غيرها؛ لأنه هو الملاذ وهو المنجي من النار والموصل إلى الجنة، هؤلاء نسوا أن الحضارة الإسلامية قامت بالأساس على العلوم المدنية، فكل علم هادف يخدم الإنسانية فهو بحد ذاته علما شرعيا، بل وموصل إلى التقرب إلى الله (إنما يخشى الله من عباده العلماء)<sup>(٢٥)</sup> العالم الذي يكتشف إبداعات الله في سماواته وأرضه، العلم يدعوننا إلى معرفة ما أوجده الله في السماء وما وجد في أرضه من خيرات وهبنا الله إياها واكتشفها العالم، الإسلام دين علم وعمل، إذا كان كل الناس اتجهوا في تعليمهم إلى العلم الشرعي كما يرى هؤلاء فمن سيعالج المرضى ويكتشف ويخترع ويقيم دولة إن كل عامل سواء مزارع أو صانع أو خباز أو مهندس أو طبيب أو غيرها من المهن كل منهم مأجور كالجندي عندما غلب العلم الشرعي وتُركت العلوم الكونية والعقلية لم تصبح هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس لأنهم أصبحوا عائلة على الغرب (الذين يروا أنه كافر) وفي الوقت نفسه يلتمس منه المعارف هذه الأمة لا يتحقق وعد الله لها بالاستخلاف وتكون خير أمة إلا إذا دعت إلى الخير والعلوم والصناعات وينهون عن المنكر بإشاعة الأخلاق القائمة على التسامح والمحبة، هكذا كان

التباس مفهوم العلم أدى إلى كارثة في خطابنا الدينى التقليدى.

هذا قليل من كثير يجب الوقوف عليه وتحديده ، فتحديد المصطلحات والمفاهيم يجنبنا ويلات كثيرة، فمن الضرورى أن يكون لدينا شجاعة النقد الذاتى ومواجهة هذا الميراث المغلوط والمخلوط وتلك الأفكار التى تسربت إلينا وباتت جزء لا يتجزأ من وعينا الدينى والثقافى.

## الخروج من الأزمة:

إن محاولات التجديد قديمة جديدة، فإذا استقرأنا التاريخ لوجدنا العديد من المشاريع والأسماء التى خلدها التاريخ ، تلك المحاولات التى سعت إلى خلخلت منظومة التقليد السائدة، وحاولت أن تجدد فنجد العز بن عبد السلام والقرافى والطوفى وابن القيم والشاطبى ورفاعة ومحمد عبده وبينهما الكثير فإذا كانت محاولات التجديد ليست معدومة، فما المشكلة إذن؟ لماذا لم تؤت هذه الجهود وتلك المشاريع ثمارها المرجوة؟

الحقيقة أن المشكلة تكمن فى الاجتهاد وتطوير التشريعات ، ووجود مجموعة تقف حجر عثرة أمام كل تلك المشروعات ، فعلى سبيل المثال عندما حاول الشيخ محمد عبده القيام بتطوير وتجديد لائحة الأزهر قُوبل باتهامات لا حصر لها من قبل بعض العقول المتحجرة فى الأزهر والذين أنكروا عليه واتهموه بالمروق والتمرد خوفاً منهم على مكانتهم التى ستتهار لذلك أغلقوا باب الاجتهاد واتجهوا إلى استمالة الجهلاء بأقوى عاطفة لديهم وهى الدين وكلنا يعلم الحوار الذى دار بين محمد عبده والشيخ البحرى والذى أسفر عن اتهام محمد عبده بالخروج على الأزهر، إن الاجتهاد أمر ضرورى ، صحيح أن هناك أطراً ثابتة لا اجتهاد فيها ولا مجال للتجديد فيها كالفرائض والأحكام الآمرة ، لكن الأحكام الأخرى فهى محل اجتهاد، لقد ضم الكتاب الكريم ( ٦٢٣٦ ) آية ، ما يخص آيات المعاملات لا يصل إلى خمسمائة آية ، فهذا أكبر دليل على أن الله ترك لنا مساحة للتفكير ومراعاة متطلبات العصر.

إن مقاصد الشريعة هى مصلحة العباد، ومن ثم نجد الشاطبى يقول: إنا وجدنا الشارع قاصداً مصالح العباد، والأحكام تدور معه حيث دار، فترى الشيء الواحد يُمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كانت فيه مصلحة جاز، لقد أوقف عمر رضى الله عنه

نصاً قرآنياً غير قابل للتأويل ( سهم المؤلفه قلوبهم ) وغير الشافعي من فقهه وذهب إلى أن ما يصلح لأهل العراق لا يصلح لأهل مصر . إن المناذرة بالتجديد والاجتهاد سيظل كلاماً في الهواء مالم يستعيد العقل مكانته وعرشه الذي سلب منه بواسطة المدعين الذين اعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية ، وهذا لا يتم إلا بفتح نوافذ العقل الذي تقع عليه مهمة الاجتهاد ، إن أحكام الشريعة لا تزدهر في مجتمع يصادر العقل ، أعود وأقول مرة أخرى المشكلة ليست في الإفتقار إلى مشاريع تجديد ، المشكلة في أن هذه الأفكار التجديدية كانت بمثابة بذرة طيبة لكنها زُرعت في أرض بور فلم تُوت أكلها ، المشكلة تنحصر في أصحاب العقول المتحجرة الذين أصروا على أن يكونوا إمعة ويوكلوا أمرهم لغيرهم .

لقد لخص شكيب أرسلان الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين وحصرها في الجهل والعلم الناقص وفساد أخلاق الحكام والرعية وتزلف العلماء إليهم ، وإصابة الناس بالجن والهلوع ، واستبداد اليأس والقنوط في نفوسهم ونسيان ماضيهم التليد ، وجودهم على القديم من تراثهم ، ورفض تعديل أصول التعليم ظناً منهم أن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار<sup>(٣١)</sup> .

فلا يتأتى لهذه الأمة الخروج من أزمتها إلا بفعل الفهم وإحكام منهجية الاجتهاد وضرورة تجديد المفاهيم وأن نضع في الاعتبار حين الاجتهاد بعض النقاط أهمها: المصالح وظروف الزمان والمكان . الأزمة الحقيقية هي أزمة إستمولوجية ، الأزمة في الادعاء بأننا نريد أن نعود إلى الإسلام الأول بغض النظر عما هو الإسلام الأول ، إنه ليس إسلام القرنين السادس والسابع الهجري إسلام مقروء بشروط وقته ولا يمكن إعادته مرة أخرى ، إننا نعاني من عدم القدرة على أن نهيم لهذا التجديد المناخ الملائم له ليجد قبولاً في المجتمع ويصبح التجديد ثقافة مجتمع ، إن حاجتنا إلى التجديد كحاجة أي كائن حي للماء والهواء ، الحاجة للتجديد ليست ترفاً وإنما ضرورة ملحة تفرض نفسها ، وإذا كان التجديد مطلباً قديماً ، فإن الجديد في مطلب التجديد هذه المرة إنه يصدر عن واقع بات مهدداً بالإرهاب .

لقد صار التهديد يأتينا من الداخل وليس من الخارج من تيارات وجماعات نشأت على أفكار متشددة فقتلوا الأبرياء ونشروا الفساد في الأرض ، لقد أدرك رواد الفكر العربي هذا الموقف المأزوم ؛ لذلك نجد مالك بن نبي يؤكد على أن المشكلة هي مشكلة

ثقافية، والمشكلة الثقافية هي مشكلة حضارة؛ فالثقافة لا تعني الأفكار فحسب وإنما هي أسلوب حياة وسلوك عام يشترك فيه كل فئات الشعب من المثقف والعالم إلى العامل والفلاح فهو لا يمس قطاع دون غيره. حقيقة نتمنى أن نعود بالإسلام غصًا طريًا كما كان في بداياته ويصبح الوحي واقعا متحققا في الزمان والمكان، نحن مطالبون بتهيئة هذا المناخ حتي ينجلي هذا الليل الطويل بصبح أكثر إشراقا؛ وبذلك نعيد الماضي الجميل لأمتنا الحبيبة.

## الهوامش:

- ١- سورة الرعد آية ١١
- ٢- رواه أبو داوود في كتابه الأفضية باب اجتهاد الرأي في القضاء.
- ٣- د. أحمد الطيب: ضرورة التجديد بحث ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ٢٠٠٢ ص ١٤١، ١٤٢
- ٤- هؤلاء اعتبروا انفسهم و الإسلام شيئاً واحداً، فعندما فترة حكم الرئيس عبد الناصر، عندما تم إلقاء القبض علي بعض من جماعة الإخوان في مارس ١٩٥٤ خطب عبدالقادر عودة في المتظاهرين قائلًا(الإسلام سجن) هذا الخلط بين الدين و فكر الجماعة، بين العقيدة و الإخوان، قادهم الي فكرة الاستعلاء علي الجميع، وإلي وهم خصومهم بانهم ضد الاسلام؛ الأمر الذي جعل حسن البنا يقول في رسالة المؤتمر الخامس أنه ظل الله علي الأرض( انظر رفعت السعيد: التأسلم السياسي، جماعة الإخوان نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦ ص ٢٨).
- ٥- محمد عبده: الإسلام دين العلم و المدنية، دراسة عاطف العراقي، سينا للنشر ص ١٨
- ٦- د. جابر عصفور: مواجهة الإرهاب: قراءات في الأدب المعاصر، منشورات بتانة ٢٠٢٤ ص ٩.
- ٧- سورة البقرة آية ١٤٣
- ٨- د. جابر عصفور المرجع السابق ص ٦
- ٩- سورة الأعراف آية ٥٦
- ١٠- سورة الملك آية ١٥
- ١١- سورة الكافرون آية ٦
- ١٢- سورة النحل آية ١٢٥
- ١٣- سورة ال عمران آية ١٥٩
- ١٤- د. رجاء أحمد علي: علم الكلام، دار المسيرة، عمان ٢٠١٢، ص ١٥٧
- ١٥- المرجع السابق ص ١٥٩
- ١٦- أحمد بن ادريس بن شهاب الدين القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، مركز الدراسات الفقهية ٢٠٠١ ج ١ ص ٧١٦
- ١٧- محمد بن ابي بكر بن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي جدة ١٤٤٣ ص ٤٧٠
- ١٨- سورة هود آية ١١٨
- ١٩- د. رجاء أحمد علي: القيمة، ضمن موسوعة الأخلاق الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ٢٠١٢، ص ٥٠٨.
- ٢٠- د. أحمد عرفات القاضي: تجديد الخطاب الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص ٦١.

- ٢١- د. محمد الغزالي: إصلاح الخطاب الديني، دار الشروق ١٩٩٨ ص ٤٥
- ٢٢- د. سعد الدين الهلالي: المواجهة الدينية لظاهرة الإرهاب، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٧ ص ١٦
- ٢٣- السباح عبدالله: كلمة للقارئ، مقالة ضمن مجلة الفكر المعاصر الهيئة المصرية العامة للكتاب الاصدار الثاني العدد الثاني ٢٠١٤ ص ٨
- ٢٤- د. مصطفى لبيب: حول القول السديد في الاجتهاد و التقليد لرفاعة الطهطاوي ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر الاصدار الثاني العدد الثاني ٢٠١٤ ص ٧٩:٨٢
- ٢٥- سورة المائدة آية ٤٨
- ٢٦- د. ذكي الدين شعبان: اصول الفقه الاسلامي، دار التأليف ص ١٠:٤، انظر أيضا د. عبدالوهاب خلاف: علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الاسلامية ط ٧ ص ١٩:١٢
- ٢٧- انظر الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى: الشريعة، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الحديث القاهرة، الكتاب من أوله الي آخره خلطاً بينا بين الشريعة و العقيدة.
- ٢٨- سورة الحجرات آية ٩
- ٢٩- عبدالحميد عشاق: منهج الاجتهاد: مقارنة في منهجية الاجتهاد تفسيراً و تعليلاً و تنزيلاً، مركز الموطن ٢٠١٨ ص ٢٨١، ٢٨٢.
- ٣٠- سورة فاطر آية ٢٨
- ٣١- شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون، و لماذا تقدم غيرهم؟ بيروت، ص ٨٨.

## المصادر والمراجع:

- ابن القيم (محمد بن أبي بكر): اعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق مشور بن حسن آل سنان، دار ابن الجوزي جدة ١٤٤٣.
- ابو داوود: الأفضية باب اجتهاد الرأي
- أرسلان (شكيب): لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم؟ بيروت.
- السعيد (رفعت): التأسلم السياسي جماعة الإخوان نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦
- الطيب (أحمد): ضرورة التجديد ضمن مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ٢٠٠٢
- الغزالي (محمد): اصلاح الخطاب الديني، دار الشروق، ١٩٩٨.
- القاضي (أحمد عرفات): تجديد الخطاب الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨
- القرافي (أحمد بن ادريس بن شهاب الدين): أنوار البروق في أنواع الفروق، مركز الدراسات الفقهية ٢٠٠١
- الهلالي (سعد الدين): المواجهة الدينية لظاهرة الإرهاب، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٧
- الأجرى (أبو بكر محمد بن الحسين): الشريعة، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الحديث القاهرة.
- شعبان (ذكي الدين): أصول الفقه الاسلامي، دار التأليف.
- عبدالله (الساح): كلمة للقارئ، مقالة ضمن مجلة الفكر المعاصر الهيئة المصرية العامة للكتاب الاصدار الثاني العدد الثاني ٢٠١٤
- عبده (محمد): الإسلام دين العلم و المدنية، دراسة عاطف العراقي، سينا للنشر.
- عشاق (عبد الحميد): منهج الاجتهاد مقارنة في منهجية الاجتهاد تفسيراً وتعليلاً و تنزيلاً، مركز الموطأ ٢٠١٨
- عصفور (جابر): مواجهة الإرهاب: قراءات في الأدب المعاصر، منشورات بتانة، ٢٠٢٤.
- علي (رجاء أحمد): علم الكلام، دار المسيرة، عمان ٢٠١٢.
- علي (رجاء أحمد): القيمة ضمن موسوعة الأخلاق الاسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ٢٠١٢.
- لبيب (مصطفى): حول القول السديد في الاجتهاد والتقليد لرفاعة الطهطاوي، ضمن مجلة الفكر المعاصر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤.